الباب الخامس

محمد على واليهود والماسونية

obeikandl.com

obeikandl.com

تعيين محمد على خطة غربية

لم تكن خطة تعيين محمد علي باشا والياً على مصر عام ١٨٠٥ هي الوحيدة في العالم الاسلامي أو العربي ولكن تكرر مثلها بأساليب وطرق مختلقة ففي تركيا اعتلى السلطان الماسوني محمود الثاني عام ١٨٢٦ الحكم في تركيا ليبدأ الأصلاح الديني كما يطلق عليه العلمانيون وفي إيران كان الشاه ناصر الدين عام ١٨٣٤ وفي الجزائر عبد القادر الجزائري عام ١٨٣٢ وفي تونس أحمد بك عام ١٨٣٧ أي أن مصر كانت أول دولة عربية إسلامية تقع في مخالب الماسونية ونجح الجميع في بذر بذور الماسونية في بلادهم ثم أعلن النظام العلماني فيما بعد تدريجياً .

بدأ محمد علي حكمه بنفي رجال الدين الاسلامي ومصادرة أملاكهم وأصدر أمراً بأن يكون تعيين شيخ الأزهر بأوامر من الحاكم مباشرة فكان هو أول من أرسى فكرة تعيين شيخ الأزهر بأوامر حاكم مصر وهو النظام الذي ما زال معمولاً به ومستمراً حتى الآن وبذلك لا يكون انتخاب شيخ الأزهر حسب كفاءته إنما على أساس مدى ولائه واخلاصه للحاكم.

ثم قام بعمل ضد الأزهر الشريف حيث عزل نشاطه وحدده ليكون النشاط محلياً وليس دولياً وطبق ذلك بالتدريج وعلى فترات وخصص

الأزهر لعلوم الدين فقط أما غير ذلك فيكن من اختصاص المدارس الحكومية التي أرسى قواعدها على أساس التحديث والتنوير بالمعنى الغربي المبني على فصل الدين ومؤسساته عن مجال الحياة السياسية والعامة للدولة وبذلك يصبح المجتمع المصري مهيأ لتطبيق النظام العلماني العالمي الجديد وحرصت الحكومات العلمانية في مصر على التقليل من شأن الأزهر ومنافسته في تخصصاته فأنشأوا دار العلوم عام ١٨٧٢ لتخريج مدرسي لغة عربية ثم الجامعات المصرية العلمانية عام ١٩٠٨ وفي عهد جمال عبد الناصر ظهرت جامعة الأزهر لتكون جامعة أزهرية علمانية ينافس خريجوها علماء الأزهر الشريف .

وفي عام ١٨٠٨ أي بعد أن تولى محمد على حكم مصر بثلاث سنوات أصدر قراراً رسمياً بفصل الدين الاسلامي وتعاليم الشريعة الاسلامية عن الدولة والسياسة وهو أول قرار علماني في تاريخ مصر وبذلك حقق محمد علي أمنية غالية جداً وهي أغلى ما كانت تتمناها الصهيونية العالمية .

وعلى الفور قامت فرنسا بشد أزر محمد علي ورفع شأنه أمام شعب مصر لترسيخ نظام حكمه الماسوني وضمان وراثته لأولاده من بعده فأنشأوا له مصانع للغزل والنسيج والطرابيش والسكر والبنادق

والمفرقعات والصابون والزيت والزجاج وأطلقوا عليه منشئ مصر الحديثة .

وفي مقابل ذلك أرسل محمد علي ابنه القائد ابراهيم باشا إلى السعودية لاخماد أعظم حركة إسلامية في ذلك الوقت وهي حركة الوهابيين وتقدمت قوات إبراهيم لضرب إمارة الشارقة ورأس الخيمة التي عجزت بريطانيا أن تحتلها من قبل وبذلك تهيأت الظروف لبريطانيا لاحتلال دول الخليج واحدة بعد الأخرى.

ولا ننسى أن محمد علي قضى على ٤٠٥ من زعماء المماليك المسلمين وهو ما يعرف بمذبحة القلعة ولكي تتوه كل هذه الجرائم استقبلت فرنسا بعثات مصرية تضم أطفالاً وشباباً وصغاراً كانوا فريسة للماسونية في فرنسا وكان من بين هؤلاء الشباب رفاعة الطهطاوي ومعه ٢٥ شاباً من الضحايا المصريين الذين عادوا إلى وطنهم بعد ٥ سنوات قضوها في كباريهات باريس ومراقصها وخماراتها بين أحضان عاهرات فرنسا وفاتناتها .

وانخدع المساكين وسال لعابهم وعادوا إلى مصر ماسونيين علمانيين لا ولاء لهم لوطن أو لدين إنما ولاؤهم لأسيادهم الصهاينة وعادوا بأفكار مسمومة يتشوقون لإعطاء الشباب الحرية المطلقة مع الفتيات لتقليد شباب فرنسا واطلاق الحرية في تجارة الخمور والمخدرات ولإعطاء

المرأة الحرية والتحرر من كل القيود التي تلاقيها من التعاليم الاسلامية لدرجة أن قاسم أمين أصدر كتاب اسمه تحرير المرأة يطالب فيه بالتحرر الكامل ولقد ظنوا بغباء أن الانحلال الخلقي هو سر تقدم فرنسا ودور الغرب عموماً فأرادوا أن يقلدوا الغرب تقليداً أعمى .

أما محمد علي باشا فقد تعاطف مع اليهود وخفف عنهم الجزية بل ألغاها بعد ذلك واستغل اليهود تعاطف محمد علي معهم فزاد نشاطهم الاقتصادي والصناعي والمالي والثقافي واستعان بهم في وظائف كثيرة كما أسس مجالس بلديات وعين بعض اليهود أعضاء فيها وأقام المحاكم المدنية ومكن اليهود من التقاضي أمامها كل ذلك شجع يهود اليونان وبولندا على الهجرة إلى مصر حتى بلغ عددهم ٦ آلاف يهودي حتى عام ١٨٤٠ ميلادية .

كما أنه استعان بعدد غير قليل من اليهود الفرنسيين من أتباع سان سيمون لتنظيم مرافق الدولة في جميع النواحي التعليمية والهندسية والطبية والاجتماعية وكانت هذه البعثة هي أساس الفساد والتخلف الذي عاشته مصر منذ عهد أسرة محمد علي حتى الآن حيث أنها كانت متأثرة بآراء سان سيمون وفولتير التي كانت تنادي بالقضاء على الدين وتعاليمه في تربية الشباب .

ذبح الأب توما وخادمه والعفو عن القتلة اليهود

الأب توما قس من مواليد إيطاليا ١٧٨٠، غادر روما مرسلاً إلي دمشق وبقي بها حتي ذبحه اليهود عام ١٨٤٠، وكان رحيما بالناس وتعلم الطب والصيدلة وعالج المرضي من كل ملة ودين مجانا وفي مساء ١٥ فبراير ١٨٤٥ طلب من الأب توما الذهاب الي حارة اليهود لتطعيم طفل يهودي من مرض الجدري ولما كانت حالة الطفل خطرة فأسرع الي الدير ليحضر الدواء وأثناء خروجه وجد داود هراري صديقه وأصر داود علي دخول الأب توما عنده ودخل الأب توما ولم يخرج، وفي يوم الجمعة ٤ ذو الحجة ١٢٥٥ حضر السيد بودن من قنصلية فرنسا بدمشق إلي ديوان الوالي العمومي وقرر أن الأب توما خرج بعد العصر وتوجه نحو حارة اليهود ولما رأي الخادم أن سيده قد تأخر فذهب ليبحث عنه ولم يرجع هو الآخر.

ويوم الجمعة ١١ ذو الحجة أمر المحقق باستدعاء المشتبه فيهم فاعترف سليمان الحلاق بأنه رأي الأب توما مع القس ألمومي والحاخامات موسي بخوريما وموسي أبي الحافية وداود هراري وأخويه إسحاق وهارون ويوسف ليينوده يدخلون شارع الفلاج يوم الأربعاء وأعيد استجواب سليمان الحلاق فقال: إن المتهمين السبعة الذين ذكرتهم

أدخلوا الأب توما الي منزل داود هراري وقالوا لي: قم واذبح هذا القسيس ووجدت الأب توما مربوط الذراعين فقلت لهم لا أستطيع ذبحه، فوعدوني بأن يعطوا لي دراهم.

س: بعدما أمرت بقتل القسيس هل بقيت هناك أم انصرفت؟ وهل كان خادمه معه؟.

جـ لا الخادم قتل في مكان آخر. س: ماذا حدث بالضبط؟ جـ: ألقيت القس علي الأرض ومسكته مع البقية ووضعت رقبته علي طشت كبير وأخذ داود السكين وذبح القس وأجهز عليه هارون أخوه وحافظا علي عدم سقوط نقطة من دمه خارج الطشت.

س: وماذا فعلتم بعد ذلك؟ جـ: كسرنا عظامه وهشمنا رأسه بيد الهون. س: هل الزجاجة التي فيها الدم سوداء أم بيضاء؟ جـ: كانت بيضاء. س: من سلم الزجاجة للحاخام موسي؟ جـ: الحاخام موسي سلونكلي. س: لماذا يستعمل الدم في ديانتكم؟

جـ: لاستعماله لأجل خبز الفطير. س: هل يوزع الدم علي جميع اليهود؟ جـ: ذلك غير ضروري وهو يحفظ عند الحاخام الأكبر وفي يوم الثلاثاء ١٤ محرم ١٢٥٦ تم استدعاء محمد أفندي أبوالحافية بسؤاله س: ماذا يقول التلمود فيما يتعلق بمن هم من غير اليهود؟ جـ: يقول التلمود إن

جميع الخارجين عن اليهود هم حيوانات ووحوش لأن إبراهيم عندما أخذ ولده إسحاق ليقدمه ذبيحة كان يصحبه خدمه قال لهم: امكثوا هنا والحمار بينما أنا وولدي نذهب الي الأمام ومن هذه العبارة استنتج اليهود أن غير اليهود حمير فسئل الحاخام يعقوب العنتابي عن صحة هذه العبارة فأقر بصحتها.

وتتوالي التحقيقات موثقة الي أن صدر عفو عن الستة عشر المتهمين بقتل الأب توما وخادمه، منهم ثمانية في قتل الأب توما والباقون اتهموا بقتل الخادم.

وفي أثناء التحقيق توفي اثنان هما يوسف هراري ويوسف لينيوده وأربعة نالوا العفو لأنهم أقروا بالحقيقة وهم موسي أبوالحافية المسمي الآن بمحمد أفندي أبو العافية، وأصلان فارحي وسليمان الحلاق ومراد الفتال والعشرة الباقون حكم عليهم بالإعدام وكاد الحكم ينفذ لو لم يفكر قنصل فرنسا في أن يعرض الحكم علي دولة إبراهيم باشا لكي يجري المصادقة عليه، ففي أثناء ذلك اغتنم اليهود الفرصة ووكلوا اثنين من عظمائهم وهما كراميرو متفيوري فحضرا الي الاسكندرية مرسلين من قبل الاتحاد الإسرائيلي وقدما عريضة لصاحب الدولة محمد علي باشا يلتمسان إعادة النظر في الدعوي إلا أن محمد علي فضل العفو عنهما حتي لا يتسبب الاستمرار في الدعوي فى ضغائن بين المسيحيين واليهود

فصدر العفو وسلم الفرمان الي الوكلاء وذيل بجملة هذه هي إرادتنا مع بصمة ختم محمد علي وعند وصول هذا الفرمان الي شريف باشا أخلي سبيل المتهمين في ٥ سبتمبر ١٨٤٠.

ابراهيم باشا واليهود والنصارى

شهدت أوضاع اليهود والمسيحيين في فلسطين تحسناً ملحوظاً خلال الحكم المصري ١٨٣١-١٨٤٠م الذي حاول كسب دول أوروبا إلى جانبه في معركته ضد السلطان العثماني على بلاد الشام فقبل عدة أشهر من الحملة العسكرية المصرية لاحتلال بلاد الشام وعد محمد علي باشا والي مصر قناصل دول أوروبا بأن المسيحيين واليهود سوف يعاملون بعطف بطريقة لم يعهدوها في السابق كما وعد بإلغاء جميع العوائد غير القانونية التي كانت تفرض عليهم من قبل حكام وعائلات سنجق القدس وتنفيذاً لذلك أصدر إبراهيم باشا في ربيع الأول ١٢٤٧هـ/ ٦ ديسمبر ١٨٣١م إلى كل المسئولين في ولاية صيدا وسناجق القدس ونابلس وجنين بإلغاء كل ما يفرض على اليهود والنصارى من عوائد منافية للشرع الشريف من قبل الولاة والوزراء والقضاة، والمسئولين، والموظفين وأناس آخرين بما في ذلك الغفر من الكنائس،وهدد أن من يأخذ قرشاً واحداً سوف يعاقب وكرر إبراهيم باشا أمره بتاريخ ٣ محرم ١٢٤٨هـ/ ٢ يونيو ١٨٣٢م أنه قبل الآن صدرت أوامرنا برفع كافة

العوائد المترتبة على أديرة طائفة العيساوية وطائفة الموساوية والاغفار الموضوعة على الزوار كافة والآن لأجل تأكيد مرسومنا السابق بأمر الحتم بأن لا أحد يمد يده لأخذ نصف فضة واحدة على المرتبات والاغفار المذكورة، وأن تجاسر أحد اخذ بارة الفرد كان من اغفار أو من شي من هذا حالاً يقع عليه القبض بمعرفة متسلم آغا ويوضع في السجن وتطبيقاً لذلك قطع إبراهيم باشا أيادي ثلاثة لأنهم قاموا بأخذ الغفر .

فقبل الحكم المصري كان اليهود والمسيحيون يتعرضون لإجراءات تمييز من قبل الولاة حيث كانوا يجبرون على لبس ملابس مميزة وكذلك أحذية خاصة ومنعوا من حمل الصليب في العلن، ولم يسمح لهم بركوب الخيل في المدن ولكن تحت الحكم المصري سمح لهم بركوب الخيل ولبس التربان الأبيض أسوة بالمسلمين بدلاً من الأسود وبالرغم من ذلك فإن محمد علي وابنه لم يستطيعا إلغاء الجزية التي كانت تتبع للسلطان، وكُلف محمد علي بجمعها فقط .

وقد تساهل هذا الحكم في منح التراخيص اللازمة لترميم الكنس والكنائس القائمة أو حتى السماح ببناء دور عبادة جديدة مما يشكل مخالفة واضحة لما كان متبعاً في السابق إذ تجاوز محمد علي وأبنه إبراهيم مهمة القاضي وأصدرا أوامر بترميم كنس وكنائس وذلك بتدخل من قناصل الدول الأجنبية الذين كان يؤثر عليهم من قبل رجال الدين

المسيحيين واليهود ومع ذلك فإن هذه الإجراءات قد استمرت متخذه الشكل القانوني السابق من خلال القاضي ظاهراً وقد حصل اليهود على الحماية اللازمة لممارسة شعائرهم الدينية وأعطى إبراهيم باشا أوامره بالسماح لليهود بترميم كنس لهم في القدس كانت خربة لعقود عدة وقد تم بناء كنس جديدة وفي سنة ١٨٤٠م وصل عددهم في القدس إلى تسعة

كما سُمح لليهود خلال الحكم المصري بزيارة أماكن دينية كانوا ممنوعين من زيارتها لأنها أماكن إسلامية مثل ضريح النبي يعقوب في صفد وقد شجعهم ذلك على طلب زيارة ضريح النبي داوود في القدس، وحاولوا كسر باب الضريح للدخول إليه وقد أصدر محمد علي أمراً بمنعهم من ذلك والتصرف وفق ما كان معمول به سابقاً كما سمح محمد علي باشا للرحالة والأجانب بزيارة المسجد الأقصى تحت حماية عسكرية من الحكومة مما أدى إلى إثارة المشاعر الدينية للمسلمين هناك .

وقد شعر المسلمون بضعف تفوقهم على غيرهم من الطوائف الذي كان سائداً طيلة الفترات السابقة حيث أن مساواة الطوائف الأخرى بهم أدى إلى خلق شعور بالسخط من المسلمين تجاه الحكومة المصرية ودفعهم ذلك إلى مهاجمة منازل اليهود وممتلكاتهم في القدس وصفد خلال الثورة الفلسطينية ضد الحكم المصري سنة ١٨٤٠م.

واستغل اليهود السياسة المصرية المحابية لهم من أجل تحقيق أهدافهم في الاستيلاء على المقدسات الاسلامية، وفرض حقائق مادية جديدة على الأرض حيث أن سعيهم لتبليط ساحة البراق يعني فرض واقع يهودي جديد في المكان يمهد الطريق لإيجاد موطئ قدم ثابت لهم يمكنهم لاحقاً من إحكام السيطرة عليه فقد ورد في المراسلة الصادرة من حكمدار ولايات الشاممحمد شريف باشا إلى مسئول القدس في ٢٤ ربيع الأول ١٢٥٦هـ/ ٢٧ أيار ١٨٤٠م ما يلي:

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام أخينا السيد أحمد دزدار متسلم القدس الشريف حالاً، أنه ورد أمر سامي سرعسكري مضمنه صورة إرادة شريفه خديوية صادرة لدولته يعرب مضمونها العالي انه حيث قد اتضح من صورة مذكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعيين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف وإلى محل ربط البراق وهو كائن داخل وقفية أبو مدين (قدس سره) وما سبق لليهود تعمير (أشياء) بالمحل المرقوم، ووجد انه غير جائز شرعاً فمن ثم لا يتم مساعدة اليهود فى تبليطه، وان يحذر اليهود من رفع الأصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها فقط يعطى لهم الرخصة بزيارتهم على الوجه القديم وصادر لنا الأمر السامي السرعسكري باجراء العمل بمقتضى الاراده الوارده المشار اليها. فبحسب ذلك اقتضى افادتكم

بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا لاجراء العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم.

وهذا يبرز بشكل جلي التأمر اليهودي على مدينة القدس ومقدساتها الاسلامية ومستقبلها مستغلين بذلك تساهل الحكم المصري تجاههم وقد اعتمد المجلس الاسلامي الأعلى في فلسطين على هذه الوثيقة إضافة إلى وثائق أخرى لإثبات أحقية المسلمين في حائط البراق وساحته وقد قدمت هذه الوثيقة للجنة الدولية التي حققت في حوادث البراق سنة ١٩٢٨م وقد طعن اليهود في هذه الوثيقة مما أدى إلى إحالتها إلى الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية والمتخصص في وثائق الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤٠م وقد بين رستم صحة هذه الوثيقة بناء على منهج النقد الظاهري والباطني للوثيقة وبذلك دحض رستم الإدعاء اليهودي القائل بأن الإدارة المصرية في ذلك العهد قد أذنت لليهود بتبليط ساحة البراق وتعمير القدس.

كما استغل اليهود وجود عضو ممثل لهم في مجلس شورى القدس لتمرير عرائضهم ومشاريعهم هذه المجالس التي شكلت للمرة الأولى في المدن الرئيسة كمحاولة من الحكم المصري لتحديث الإدارة في فلسطين وبلاد الشام، وضمت يهود ومسيحيين للمرة الأولى وأوكل لها مناقشه جميع الأمور والقضايا الخاصة بالمدينة، وشكلت في الكثير من الأحيان

انتقاصاً وتجاوزاً لصلاحيات المحكمة الشرعية التي كانت تتبع السلطان العثماني وكان ممثل طائفة اليهود في مجلس شورى القدس الشريف الخواجة رونة خلال الحكم المصري.

كذلك استغل اليهود الأجواء الإيجابية التي أوجدها الحكم المصري من أجل تعزيز وجودهم وتغلغلهم الاجتماعي والاقتصادي في البلاد حيث سعت طائفة السكناج المستأمنين الذين يأتون للقدس للإقامة بها من خلال استغلال السماح لهم بالقدوم لفلسطين للحج، ودعم وحماية القناصل الأجانب لهم وتمتعهم بجوازات سفر أوروبية وهم يهدفون بذلك إلى تعزيز موطء قدم لهم من خلال امتلاك الأراضي وبناء المعاصر والمصابن التي تثبت أقدامهم في القدس ومحاولة السيطرة على المدينة سلمياً ففي مراسلة من حكمدار إيالات الشام محمد شريف باشا إلى مصطفى أغا السعيد مسئول القدس الشريف في ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣هـ/ يرد ما يلي:

والجرنال المرقوم مبني على معروض متقدم للمجلس من وكيل طائفة السكناج بالقدس الشريف بقصد الاستعلام هل يترخص لهم بمشترى الأملاك وأراضي للزراعة وتعاطي الحرث والزرع، وتعاطي البيع والشرا (الشراء) وبيع الأغنام والأبقار وتعاطي مصابن ومعاصر بناء يدفعوا

المرتب للميري مثل الرعايا هذا مضمون استعلامهم وفهمنا كيفية جواب المجلس بأن هذه ما سبق لها أمثال، وبالوجه الشرعي أيضاً غير مساعد للمستأمنين المذكورين في جميع ما يستدعونه حيث أراضي تلك الديار ميرية ووقفية فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم الشريعة ما عدا تعاطي البيع والشرا بالتجارة التي يجلبوها من بلادهم من أنواع التجارة حكم أمثالهم الذميين في السوق بأن هذه أعمال يتعاطوها الآن فما أحد يمانعهم بها هذه مجاوبة المجلس المبسوط بصورة المذكرة المرقومة وهذه المجاوبة من المجلس فهي بالحق والطريقة والمجاوبة لهم بذاك فهي بمحلها.

ومما يشير إلى ازدياد التآمر اليهودي على فلسطين قيام عضو مجلس النواب البريطاني اليهودي موسى مونتيفيوري الذي جال في فلسطين سبع مرات في الفترة بين ١٨٢٧م-١٨٧٥م بزيارة صفد سنة ١٨٣٩م بدعوى إيجاد طرق لتحسين حياة اليهود وقد كتب إنني واثق لو أن خطتي نجحت فإنها سوف تجلب السعادة للأراضي المقدسة وسوف أرسل طلباً لمحمد علي بتأجيري أرض لمدة خمسين عاماً تشتمل على نحو مائتي قرية، ودفع مبالغ الإيجار سنوياً لمحمد علي في الإسكندرية مع زيادة سنوية مقدارها من عشرة إلى عشرين في المئة على أن تكون هذه القرى حرة من الضرائب طيلة المدة والسماح بتسويق إنتاجها في كل العالم، وتشجيع اليهود في أوروبا للعودة لفلسطين وقد قابل مونتفيوري

محمد علي في الإسكندرية في ١٣ يوليو ١٨٣٩م لمناقشة تنفيذ خطته وقد أبدى محمد علي رغبته بتشجيع الزراعة وجلب عمال لفلاحة الأرض ولكنه قال: إن الأرض تعود للسلطان ومع ذلك فإن محمد علي أبدى رضاه على قيام مونتفيوري بإنشاء بنك برأس مال قدرة مليون جنية إسترليني من أجل تنفيذ خطته وأبلغ مونتيفيوري بأن البنك سوف يكون تحت حمايته، وإنه سيكون سعيد لرؤيته نشأة هذه البنك .

وقد شهدت فترة الحكم المصري زيادة في الخطط الدولية حول مستقبل فلسطين حيث بدأت فلسطين تشكل النقطة المركزية في المسألة الشرقية إذ ازدادت بعثات التبشير وكذلك الحجاج اليهود والمسيحيين إضافة إلى الرحالة وقد قال الكاتب البريطاني فيرتي مباحثات، مواعظ، خطط، مشاريع حول مستقبل فلسطين ككيان شبه منفصل بشكل كلي أو جزئي للمسيحيين أو لليهود كانت منتشرة في بلاد أوروبية مختلفة خلال الفترة بين ١٨٣٩-١٨٤١ كما قام رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون تحت تأثير اللورد شافتيرزبري حاول أن يكسب رضا السلطان على فكرة عودة اليهود مدعياً أن ذلك سوف يشجعهم على الاستيطان في فلسطين وفي المقابل فإن السلطان والإمبراطورية سوف تستفيد من المبالغ الكبيرة التي سوف تتدفق على فلسطين.

وقد فتح محمد علي الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي القنصلي في البلاد إضافة إلى بعثات التبشير وقد سمح بفتح قنصلية بريطانية في القدس للمرة الأولى في سنة ١٨٣٨م وضعت نصب عينها بالدرجة الأولى توفير الحماية لليهود لذلك تعتبر فترة الحكم المصري نقطة تحول في ميدان ازدياد النفوذ الأجنبي .

وقد أدت سياسة الحكومة المصرية إلى زيادة عدد اليهود في القدس وازدادت الهجرة اليهودية إلى القدس في ثلاثينيات القرن التاسع عشر خصوصاً من هولندا وألمانيا كما حضر الكثيرون من يهود صفد إلى القدس بعد زلزال سنة ١٨٣٧م الذي دمر قسماً كبيراً من تلك المدينة مما ضاعف عدد السكان اليهود في المدينة البالغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف إذ تشير الإحصاءات أن عددهم قد بلغ الثلث .

وبالرغم من محاولات محمد علي باشا إرضاء دول أوروبا وفتح أبواب البلاد لنشاط قناصلها وجمعياتها التبشيرية فإنها وقفت في سنة ١٨٤٠م إلى جانب السلطان العثماني وأدت دوراً مهماً سياسياً وعسكرياً في إخراج الحكم المصري من بلاد الشام.

والخلاصة

-أن الحكم المصري فتح باب التدخل الأجنبي في القدس وفلسطين على نطاق واسع.

-استغل اليهود تسامح الحكم المصري تجاههم من أجل فرض حقائق مادية على الأرض تمهد على سيطرتهم للمدينة.

-تضاعف سكان القدس من اليهود خلال الحكم المصري نظراً لمحاباته لهم، وتسهيل الإجراءات لدخولهم إليها.

-رفض الحكم المصري للعديد من المؤامرات اليهودية للتغلغل الديني والاقتصادي في مدينة القدس.

-إن اليهود تمتعوا بحماية ودعم قناصل الدول الأجنبية في سعيهم لزيادة نفوذهم وسيطرتهم على القدس وفلسطين.

إسماعيل باشا : لما تولى إسماعيل باشا حكم مصر كان اليهود والماسونيون يسيطرون على نظام الحكم فيها ويتحكمون في شئون البلاد اقتصادياً وسياسياً والمعروف أن إسماعيل كان من بين العائدين من أوروبا ومن فرنسا بالذات .

ونشطت المحافل الإيطالية في مصر في عهده حتى أن جميع النشرات الماسونية في مصر كانت تصدر باللغة الايطالية ومما هو جدير بالذكر أن

obeikandl.com

الاسكندرية أصبحت لقمة سائغة في فم الماسونيين من جميع الأجناس حتى أن مركز الماسونية في مصر حتى عام ١٨٧٩ كان في الاسكندرية ثم ظهرت المحافل الماسونية الفرنسية والانجليزية والمصرية في جميع أنحاء مصر بعد ذلك وانتقل النشاط الماسوني إلى القاهرة .

وزاد النشاط الماسوني في عهد اسماعيل باشا واحتل الماسونيون في عهده أعلى المناصب في البلاد فكان رئيس الوزراء والوزراء والمديرون وكبار الشخصيات في مصر من الماسونيين الذين كانوا قد عادوا من فرنسا ومنح الجميع ألقاب باشا وبك وأفندي دون غيرهم من المواطنين ومن بين هؤلاء الماسونيين الأمير حليم (عبدالحليم) شقيق إسماعيل باشا الوريث الشرعي لعرش مصر حسب نظام الوراثة المعمول به منذ عهد محمد على باشا .

وركز الماسونيون اهتمامهم على الأمير حليم نظراً لحماسه الشديد للنشاط الماسوني في مصر ولقد أتم تعليمه أيضاً في فرنسا في كلية سان سيتر العسكرية مع إسماعيل باشا وعاد إلى مصر عام ١٨٤٥ وهو يعتصر ماسونية واختاره الماسونيون استاذاً كبيراً لهم في محفل الشرق الأكبر الماسوني المصري عام ١٨٦٧ وتحول قصره في شبرا إلي محفل ماسوني وحضر ولي عهد بريطانيا حفل تنصيبه في ذلك القصر.

وكان معظم أعوان الأمير حليم من الماسونيين الايطاليين والفرنسيين واليهود ومن بين اليهود الخطرين الذين لعبوا دوراً هاماً في نشر الماسونية في مصر تلميذ الأمير حليم المدعو يعقوب صنوع وحسن موسى العقاد أحد كبار تجار القاهرة .

والتف اليهود حول إسماعيل باشا وأحسوا أنه فريسة سهلة يمكن توريطها والزج بها في المستنقع الذي ترسمه له الصهيونية العالمية واستغل اليهود حماس إسماعيل باشا في أنه يريد أن تكون القاهرة مثل باريس التي عاش فيها .

ثم فتح إسماعيل باشا الوظائف الحكومية العامة على مصراعيها لليهود لاسيما في أقسام وأقلام الحسابات والترجمة وبدأ اليهود في تحقيق آمالهم في السيطرة على مصادر المال والذهب في مصر.

وكان من أوائل اليهود الذين عملوا في هذه الوظائف فيكتور هراري وإفرايم عاداة اللذان تدرجا حتى صار الأول مديراً عاماً للخزانة المصرية وصار الآخر مراقباً بوزارة المالية وعين يعقوب منشه صراف باشي للخديوي إسماعيل وهو الذي أسس مع يعقوب قطاوي بيتاً للصرافة والتجارة ولاقا نجاحاً وشهرة حتى أنهما فتحا أفرعاً في انجلترا فيما بعد .

وتمكن اليهود من إصدار أول صحيفة يهودية سنة ١٨٧٧ وامتلكها اليهودي المعروف يعقوب صنوع الذي أطلق اسم أبو نظارة على صحيفته وتبعه زميله اليهودي موسي كاستلي عام ١٨٧٩ فأصدر صحيفة الكوكب المصري .

النشاط الماسونى فى عهد إسماعيل :

واستغل اليهود الموقف فأصدروا الصحف والمجلات التي تخدم أهدافهم الرئيسية التي تساعدهم على إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين ولما كان محمد علي قد عين من قبل يهودياً ضمن أفراد حاشيته فإن ابنه عباس الأول قرب إليه يعقوب قطاوي وعينه في وظيفة صراف عام وكذلك فعل إسماعيل الذي فتح الباب على مصراعيه لأعداد كبيرة من اليهود واستعان بهم في مفاوضات الحصول على القروض الأجنبية من البيوت المالية اليهودية الكبرى في أوروبا مثل بيت أوبنهايم وبيت روتشيلد .

ولقد لجأ اسماعيل باشا إلى استمالة حكام أوروبا له فكان يهدي كل واحد منهم يزور مصر مسلة فرعونية تظهر في ميادين العواصم الأوروبية الآن وبدأت أوروبا تتخذ من اليهود وسيلة لإيقاع إسماعيل في فخ الديون بالاضافة إلى أنه بلغ درجة عالية من الماسونية حتى قيل انه راعي الماسونية في مصر وأصدر أمراً بتشكيل وزارة يرأسها

الماسوني نوبار باشا وهو الذي شارك في إغراق اسماعيل باشا في الديون وهو الذي سمح بإنشاء المحافل الماسونية في مصر كذلك أشرف على حفر قناة السويس وكانت انجلترا وفرنسا قد وضعتا خطة عام ١٨٥٢ لخنق مصر اقتصادياً ليكون هناك سبب لإرسال الحملة البريطانية لتحتل مصر فيما بعد في مقابل احتلال فرنسا للجزائر .

وفرض البيت المصرفي الانجليزي أول قرض على مصر بمبلغ ٣ مليون جنيها استرلينيا بفوائد كبيرة وسلم إسماعيل باشا الأمر لليهود المختصين في وزارة ماليته طوال ١٢ سنة ونجحوا مع المصارف البريطانية فى فرض ٧ قروض أخرى على مصر .

وفي عام ١٨٧٥ بلغت ديون مصر حوالي ١٠٠ مليون جنيه استرليني مما أدى إلى إفلاس الحكومة المصرية وكان ذلك بسبب إنشاء دار للأوبرا تشبه ما هو موجود في باريس وروما وإنشاء ٢٠ قصراً من أعظم قصور العالم منها قصر عابدين وقصر القبة ورأس التين والمنتزه وغيرها ليتوارثها أولاده وأحفاده من بعده .

واستغل اليهودي العالمي دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت سيطرة اليهودي على شئون الخديوي إسماعيل وتغلغلهم داخل الشئون المالية والاقتصادية في البلاد وعن طريقهم أقنع الخديوي

إسماعيل بضرورة بيع حصته في أسهم قناة السويس مقابل ٤ ملايين جنيهاً استرلينياً .

دزرائيلي هذا يهودي متعصب تظاهر باعتناق الدين المسيحي من أجل أن يتولى رئاسة الوزراء حسب الدستور البرطاني واتفق مع فرنسا علي أن تعمل على تسليم مصر للاحتلال البرطاني مقابل أن تترك انجلترا المغرب للاحتلال الفرنسي .

واتصل دزرائيلي سراً بآل روتشيلد في فرنسا وحصل منهم على قرض ليستغله في إغراق الخديوي إسماعيل في ديونه التي زادت عن حدها وكانت الخطة قد وضعتها انجلترا بالاتفاق مع فرنسا على أساس إغراق مصر في ديون تعجز عن سدادها ويكون ذلك سبباً لتقدم القوات البريطانية لاحتلال مصر وساهم يهودي فرنسي يدعي ناتانيل من أقارب روتشيلد في إرباك الاقتصاد والشئون المالية في مصر مما جعله يستحق أن ينال لقب بارون على ذلك العمل المجيد .

وكما ذكرنا من قبل أن الأمير حليم كان الوريث الشرعي لإسماعيل باشا بناءا على فكرة الوراثة القديمة ولكن نجح إسماعيل في أن يجعل الوراثة لابنه توفيق أكبر أبناءه فأنفق هدايا ورشاوي للسلطان العثماني للحصول على فرمان ١٨٦٦ لجعل الوراثة لأكبر أبناءه ثم فرمان ١٨٦٧ للحصول على لقب الخديوي بالاضافة إلى المصاريف الضخمة

التي صرفت على الحفلة شبه الخرافية التي أقامها لافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

محمد على والأجانب

استحدثت سلطة محمد علي عدداً من الاجراءات التي كان جماعها فتح أبواب الهجرة الأجنبية إلى الشام وإلى بيت المقدس على وجه الخصوص ، عبر الرفع الدائم من شأن الأجانب الذين اتسع نفوذهم وصارت لهم الكلمة العليا في معظم شئون الحكم ما مثَّل انقلاباً حقيقاً في ميزان العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الأجانب وبين أهالي البلاد.

لقد كان بلاط محمد علي أجنبيا، وكان رجال حكمه من الأجانب، الفرنسيين خصوصاً، وكانت دولته محسوبة على فرنسا في الصراع العالمي بين الانجليز وفرنسا ذلك الوقت، وقد نقل المؤرخ إلياس الأيوبي المعجب بمحمد علي أن لفرنسا يد في توليته حكم مصر، إذ لما فشلت حملة نابليون أرادت فرنسا أن تبحث في العساكر العثمانيين عن رجل تمهد له حكم البلاد فيكون رجلها، فقام تييه ديليسبس –القنصل الفرنسي- بهذه المهمة واستطاع اكتشاف محمد علي، ثم أتم السفير الفرنسي في الأستانة سبستياني المهمة بالضغط على السلطان لتوليته حاكماً لمصر، ولا ينقص هذا من مهارة ودهاء محمد علي الذي أدار معركته بين القوى

المصرية حتى جعل نفسه مطلبها الذي أصرت عليه في وجه السلطان العثماني.

لئن كان مفهوماً كثرة الفرنسيين في بلاط محمد علي إلا أن المثير للشكوك هو استكثاره من اليهود، فلقد كانت نظرته العملية وتطلعاته الاصلاحية في صالح اليهود، فلقد استخدم اليهود في الادارة، وحررهم من الابتزازات المالية التي فُرضَت عليهم في الماضي، بل إنه شجع هجرة اليهود إلى مصر، واليهود من ناحيتهم لم يتأخروا بل بدأوا في التدفق على مصر ليشاركوا بقوة في النشاط الاقتصادي، حتى صارت مصر الموضع الوحيد في الدولة العثمانية التي فيها شارك اليهود بشكل كامل في حركة الاصلاحات بتحفيز من ذلك المستبد محمد علي.

انعكست هذه السياسة على الوضع في الشام، فقد اتخذ إبراهيم باشا عدداً من الاجراءات التي قلبت الموازين، من أهمها أربعة أمور:

أولا: تشجيع الحجاج اليهود والنصارى على التدفق إلى بيت المقدس، من خلال إلغاء كافة الضرائب التي تؤخذ منهم، وإنشاء المرافق الخاصة لرعاية الحجاج إلى بيت المقدس، وجعل ما يدفعونه من أموال خالصاً للرؤساء الدينيين مما مكنهم من تحقيق استقلال مالي واسع ومستغرب بالنسبة لرجل كمحمد علي يؤسس دولة حديثة قائمة على نظام اقتصادي احتكاري وعلى ضرب الأوقاف وأعيان البلد.

ثانيا: تقديم تسهيلات تجارية للأجانب في منطقة الشام، إذ كان الأجانب ممنوعين من التجارة في داخل الشام وتقتصر أنشطتهم التجارية على الموانئ فحسب، فسمح محمد علي لهم بالتجارة في سائر المناطق، بل وضيق على السفن التجارية العثمانية، مما قلب الميزان الاقتصادي والاجتماعي بين المسلمين وغير المسلمين، وبين الرعايا والأجانب.

ثالثا: تضخيم نفوذ القناصل الأجانب، وبداية إنشاء القنصليات الأجنبية في بيت المقدس، وهي الأمور التي تطورت فيما بعد نحو تأسيس محميات ومناطق مستقلة اقتصاديا وسياسيا، إذ اتخذت القنصليات مهمة حماية الرعايا من اليهود والأرثوذكس والكاثوليك، وكانت القنصلية البريطانية أول ما أنشيء في بيت المقدس وأقوى ما أنشيء من النفوذ الأجنبي.

رابعا: إنشاء المشاريع الزراعية والصناعية لترسيخ النفوذ الأجنبي في منطقة الشام.

بهذه الاجراءات التي سارت بوتيرة محمومة، بدأت منذ اليوم الأول، تحولت فكرة توطين اليهود في سيناء إلى فكرة واقعية تدخل مجال السياسة من بعد ما كانت محصورة في خيال اليهود وبعض الأدباء والحالمين، لقد صارت تُنشر في الصحف وتُطرح في كتب سياسية وتُرفع

بها تقارير إلى أروقة السياسة، وهنا وجدت أوروبا أنه من الممكن التخلص من مشاكلها دفعة واحدة بتوطين اليهود في فلطسين.

محمد علي باشا مؤسس إسرائيل

يُعرف محمد علي باشا الكبير بأنه مؤسس مصر الحديثة، والحق أنه مؤسس الدولة العلمانية العسكرية التي لا نزال نعاني منها حتى الآن، ودولته هي بداية النفوذ الأجنبي الكبير في الشرق الاسلامي، حتى إن الأجانب صاروا ينزلون بجيوشهم وأساطيلهم للدفاع عن نفوذهم الذي تأسس في مصر كما حدث في ثورة عرابي بل وتمكنوا من تغيير الجغرافيا المصرية والشرقية حين شقُّوا قناة السويس فكان هذا بلاءً وبيلاً تحملته مصر والعرب ولا تزال تعاني من ويلاته حتى الآن.

إلا أن جانباً لم يزل غير مشتهر عن حقبة محمد علي، تلك هي السنوات العشر التي حكم فيها الشام، التي شهدت البذور الأولى لتأسيس دولة لليهود في فلسطين، إلا أن القدر لم يمهل هذا المشروع ليكتمل، غير أن المشروع نفسه تأسس وبدأ التفكير فيه في ذلك الوقت.

لم ترحل آثار حكم محمد علي برحيله من الشام عام ١٨٤١م، وإنما استطاعت القوى اليهودية المالية على وجه التحديد والقوى السياسية الأجنبية البناء على ما تركته هذه الفترة من تغيرات في الأوضاع

السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم تتمكن السلطنة العثمانية من إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه من قبل.

محمد علي باشا والماسونية :

لم يكن من السهل على شاب قليل الخبرة وقليل المعرفة بمصر وطبيعتها أن يصل إلى ما وصل إليه محمد علي، مهما كانت قدرته أو ذكاؤه إلا إذا كان يستند إلى قوة تخطّط له وتعينه على تحقيق أهدافه، وتسخره في نفس الوقت لتحقيق أهدافها، خاصة أنه كما ذكر عن نفسه (لا يصلح للولاية وليس من الوزراء ولا من الأمراء ولا من أكابر الدولة).

وهذه الصفات حقيقية له مهما كان غرضه من قولها، ولهذا نجد أنفسنا أمام العديد من التساؤلات لماذا ثارت الفرقة الألبانية بالذات التي يحتل فيها هو الرجل الثاني دون بقية الفرق العثمانية، وأبعدت خسرو باشا عن الولاية تحت دعوى تأخر رواتبهم؟ ولماذا اندفع العلماء لتعيين

قائد القوة الألبانية الثائرة طاهر باشا قائمقاماً ينوب عن الوالي المطرود ثم يُقتل بعد عشرين يوماً؟ ولماذا يطرد الوالي الجديد أحمد باشا بعد توليه بيوم واحد فقط؟ ولماذا يساعد محمد علي خورشيد باشا في تولي الولاية ثم ينقلب عليه؟ وكيف استطاع محمد علي أن يفي برواتب الجند

---

[١] قراءة جديدة في التاريخ العثماني- د زكريا بيومي: ص١٦١

خاصة بعد استيلاء المماليك في الصعيد على مخصصات الأهالي هناك؟ ولماذا؟ ولماذا؟ جوانب كثيرة يكتنفها الغموض!!!

وتشير كثير من الأدلة إلى أن هذه القوة التي لم تكن ظاهرةهي الحركة الماسونية التي انبعثت في مصر سنة ١٧٩٨م على يد رجال الحملة الفرنسية حيث مهد لها نابليون، ثم أسس خلفه كليبر ومعه مجموعة من ضباط الجيش الفرنسيين الماسونيين محفلاً في القاهرة سمِّي محفل إيزيس، وأوجدوا له طريقة خاصة به هي طريقة ممفيس أو الطريقة الشرقية القديمة[١].

وقد تمكن هذا المحفل من أن يضم إليه بعض الأعضاء من المصريين وإنْ كانوا قلة، ثم انحلَّ هذا المحفل رسمياً في أعقاب اغتيال كليبر سنة ١٨٠٠م، وظل أعضاؤه يعملون في الخفاء وبسريَّة.

ويشير المنشور الأول الذي وزَّعه نابليون على المصريين إلى أنه قد سعى لنشر هذه الأفكار منذ بداية وصول الحملة، فيذكر فيه قولوا لهم أي المصريين أن جميع الناس متساوون عند الله، وأن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط)[٢] .

١- نهاية اليهود - محمد عزت ص١٣٢ ٢- قراءة جديدة في التاريخ العثماني- د زكريا بيومي ص١٦٧

ويبدو تزعم الحملة الفرنسية للفكر الماسوني واضحاً منذ بدايتهم، ولقد حاولوا فرض العادات الخبيثة التي استهجنها المسلمون في مصر كالبغاء والسفور وتشجيع النساء من الحرافيش ونساء الهوى على ارتكاب المحرمات بشكل علني واضح، حيث يعدُّ هذا الأمر من بين أساليب انتشار الماسونية[١] وتوحي بعض الدلائل على أن الفرنسيين قد نجحوا في ضم المصريين بعض المشايخ والعلماء من بينهم الشيخ حسن العطار إلى المحفل الماسوني الذي أسسه كليبر سنة ١٨٠٠م، فبعد أن هرب الشيخ حسن العطار إلى الصعيد في أعقاب قدوم الحملة كغيره من العلماء ثم عاد إلى القاهرة على إثر دعوة الفرنسيين للعلماء، اتصل على الفور برجال الحملة ونقل عنهم علومهم، وفي نفس الوقت تولى تعليمهم اللغة العربية[٢] وقد اندمج إلى حد كبير في علومهم، وكثيرًا ما تغزل في أشعاره بأصدقائه منهم[٣] ولقد دعت هذه الأمور أن يوصف العطار بأنه من دعاة التجديد[٤]

وقد توثقت صلة الشيخ العطار بمحمد علي بعد توليه الولاية، وأصبح من الركائز التي يعتمد عليها محمد علي في خطوات التجديد في مصر،

١- عجائب الآثار- الجبرتي ١٦١/٣ ٢- الصراع الفكري بين أجيال العصور - إبراهيم العدوي ص٨٥

٣- الجبرتي والفرنسيس- د صلاح العقاد: ص٣١٦ ٤- قراءة جديدة في التاريخ العثماني ص١٦٩

وهو أمر يشير إلى وجود صلة بين محمد علي والمحفل الماسوني المصري الذي تأسَّس إبان الحملة الفرنسية كما أن تطور الأحداث يشير إلى تشبُّع محمد علي بالأفكار الماسونية التي كان مهيَّأ لها بحكم تكوينه الطبيعي والماسونية هي القنطرة التي عبرت عن طريقها الصهيونية العالمية؛ إذ أسسها تسعة من اليهود بغية الوصول إلى تحقيق الحلم الصهيوني المتمثل في إنشاء حكومة يهودية عالمية تسيطر على العالم، فأعدت خططها وبرامجها المحققة لأهدافها وأطلقت على نفسها اسم القوة الخفيَّة، واتخذت السرية والعهود والمواثيق التي كانت تأخذها على العضو المنضمّ إليها وسيلة ضغط عليه، بحيث يصبح آلة توجهه كما تريد وقد استشرى فساد الماسونية في المجتمعات الغربيَّة واستطاعت أن تجذب الكثيرين من الأعضاء عن طريق شعارها الظاهري: الحرية، الاخاء، المساواة[1] .

لقد كانت المصالح الفرنسية ترى دعم محمد علي لتتحقق لها أطماعها المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماسونية، وإضعاف الدولة العلية العثمانية، وزرع خنجرها المسموم في قلب الدولة العثمانية؛ لذلك أنشأت لمحمد علي أسطولاً بحريًّا متقدمًا متطورًا، وترسانة بحرية في

---

١ ـ الماسونية وموقف الأسلام منها ـ د حمود الرجيلي ص٣، ٤

دمياط، والقناطر الخيرية لتنظيم عملية الري في مصر هل كان هذا كله حبًّا في شخص محمد علي؟ أو حبًّا في مصر؟! إنما كان لتنفيذ المخطط الصليبي الذي فشلت الحملة الفرنسية في تنفيذه بسبب اضطرارها إلى الخروج ولقد قام محمد علي بدور مشبوه في نقل مصر من انتمائها الاسلامي الشامل إلى شيء آخر يؤدي بها في النهاية إلى الخروج عن شريعة الله، وكانت تجربة محمد علي قدوةً لمن بعده من أمثال مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبد الناصر إلخ والمسلم الحق لا يمكن أن يقوم بمثل هذا الدور لا واعيًا ولا مستغفلاً؛ لأن إسلامه يمنعه أن يتلقى التوجيه من أعداء الاسلام .

لقد كان أعداء الاسلام يريدون القضاء على الدولة العثمانية، والقيام بتغريب العالم الاسلامي مع الاهتمام الخاص ببلد الأزهر ليقوم بتصدير أفكارهم إلى بقية الشعوب الاسلامية أما القضاء على الدولة العثمانية، فقد ساهم محمد علي في إضعافها وإهدار طاقاتها، وإسقاط هيبتها وتَعَدَّى على حرماتها، وأما التقارب مع الأعداء والسير في فلكهم الفكري والحضاري والانسلاخ التدريجي عن الانتماء العقديّ والفكري والأخلاقي فقد قطع فيه شوطًاً مدحه عليه حلفاؤه من الماسون الفرنسيين والبريطانيين ، وانهزم أمام الغزو الفكري المنظّم وقام بتنفيذ سياسة الابتعاث بإرسال الطلاب الشبان إلى أوروبا ليتعلموا هناك وكان هذا من

الأمور الخطيرة والمنافذ التي دخل التوجُّه العلماني من خلالها، فدخل ساحة التعليم ومن ثَمَّ في ساحة الحياة في مصر الاسلامية، وأهمل الأزهر وشيوخه وعلماءه، واهتم بإرسال الشبان الصغار بأعداد متزايدة إلى أوروبا وهم في سن المراهقة، غير محصَّنين بشيء لينغمسوا في الشهوات، ويتأثروا بالشبهات، ثم يرجعوا إلى بلادهم ليكونوا رأس الحربة المتجهة إلى التغريب ولقد أرسل مع البعثات أئمة يؤمون الطلاب في الصلاة، ولكن ماذا عمل الأئمة؟ لقد كان رفاعة رافع الطهطاوي واحدًا من أولئك الأئمة، لكنه عاد وهو واحد من دعاة التغريب، وعندما استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين، فأشاح عنهم في ازدراء ووسمهم بأنهم فلاحون لا يستحقون شرف استقباله.

ثم ألّف كتابه الذي تحدث فيه عن أخبار باريس، ودعا فيه إلى تحرير المرأة والسفور، والاختلاط، وأزال عن الرقص المختلط وصمة الدنس، فقال: إنه حركات رياضية موقعة على أنغام الموسيقى، فلا ينبغي النظر إليه على أنه عمل مذموم لقد استغرقت عملية الانتقال التدريجي ما يقرب من قرن من الزمان، لكنها كانت عملية مستمرة لا تتوقف، بل تتوسع على الدوام لقد كان محمد علي ثعلبًا ماكرًا همُّه نفسه وأولاده من بعده؛ لذلك قام بأعمال شنيعة، وأفعال قبيحة في إضعاف الأمة، والقضاء على شوكتها وتنفيذ مخططات فرنسا وبريطانيا، وحرص على أن يجمِّل

صورته في أعين الغرب، ويقفو آثارهم في التحديث بل ويفكر كما قال عن نفسه بعقل أفرنجي وهو يلبس القبعة العثمانية[1] لقد قام محمد علي نيابة عن فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا وغيرها من دول أوروبا بتوجيه ضربات موجعة للاتجاه الاسلامي في كل من مصر والجزيرة العربية والشام والخلافة العثمانية؛ مما كان لها الأثر في تهيئة العالم الاسلامي للأطماع الغربيَّة.

obeikandl.com

١- تجربة محمد علي الكبير -منير شفيق: ص٣٨